مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (40) العدد (4)2018
No. (4) 2018 (40) .Vol Series Arts and Humanities – Journal for Research and Scientific Studies University Tishreen

العلاقات الكويتية – البريطانية منذ بداية القرن التاسع عشر حتى اتفاقية الحماية 1899م

د. إبراهيم علاء الدين*
رامي عيزوقي **

(تاريخ الإيداع 9 / 1 / 2018. قبل للنشر في 1 / 7 / 2018)

□ ملخّص □

إنَّ منطقة الخليج العربي ومنها الكويت كانت تابعة للدولة العثمانية مع التمتع بشبه استقلالية في إدارة شؤونها،ونظراً لوقوع الخليج العربي على طريق الهند، فقد أصبح مسرحاً للصراع بين الدول الأوروبية والدولة العثمانية .

وكون الخليج العربي كان خاضعاً اسمياً للدولة العثمانية التي تركت أمر شؤونه الداخلية لحكامه المحليين وضعف الحكم المركزي فيه ، وعدم اهتمامها فيه إلا بعد افتتاح قناة السويس 1869م من جهة، وتفكك إماراته ومشيخاته وعدم وجود التنسيق والوحدة فيما بينها من أخرى، فقد أدى ذلك إلى نجاح بريطانيا في فرض سيطرتها على الخليج العربي وفق سلسلة من الاتفاقيات التي عقدتها مع أمراء وحكام تلك المناطق، ودخلت في صراع سياسي واضح المعالم مع السلطنة العثمانية للسيطرة على الكويت وفرض حمايتها عليها ،وقد برز هذا الصراع جلياً عندما تولى الشيخ مبارك بن صباح الصباح الحكم في (1896 – 1916م) حيث استقل بسياسته عن الدولة العثمانية وأصبحت بلاده ملاذاً لكل المعارضين للسلطنة العثمانية ، ولم يجد أمامه للوقوف في وجههم سوى التحالف مع بريطانيا التي استغلت تلك الفترة في تقوية نفوذها في الخليج العربي. وان لم يكن في مقدور بريطانيا وضع الكويت تحت حمايتها في المرحلة الأولى ، إلا أن الحفاظ على استقلالية المشيخة من الإمبراطورية العثمانية كان في مصلحتها.

الكلمات المفتاحية: بريطانيا– الكويت–الخليج العربي – الدولة العثمانية – الهند – القواسم.

* مدرس مساعد – قسم التاريخ – اختصاص تاريخ حديث ومعاصر – كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة تشرين – سورية – اللاذقية، سورية.

** طالب دراسات عليا – اختصاص تاريخ حديث ومعاصر – قسم التاريخ – كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة تشرين – سورية – اللاذقية، سورية .

مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (40) العدد (4)2018
No. (4) 2018 (40) .Vol Series Arts and Humanities – Journal for Research and Scientific Studies University Tishreen

Kuwaiti - British relations since the beginning of the 19th century tillAL-Himaya treaty 1899

Dr. Ibrahim Alaa Eddin*
Rami ayzouki**

(Received 9 / 1 / 2018. Accepted 1 / 7 / 2018)

□ ABSTRACT □

The Arabian Gulf region, including Kuwait, was part of the Ottoman Empire, enjoying an almost autonomous role in managing its affairs. Given the Persian Gulf, India became the scene of a conflict between the European states and the Ottoman Empire.
And the fact that the Arabian Gulf was subject to nominal Ottoman state, which left the matter of internal affairs of its local rulers and the weakness of central government, and the lack of interest in it only after the opening of the Suez Canal in 1869 on the one hand, and the disintegration of his emirates and manshes and the lack of coordination and unity among them from the othe, It led to the success of Britain to impose its control over the Arabian Gulf in accordance with a series of agreements with the princes and rulers of those regions,And entered into a clearly defined political conflict with the Ottoman Sultanate to control and impose protection on Kuwait. This conflict emerged when Sheikh Mubarak bin Sabah al-Sabah came to power in 1896-1916, and he became a haven for all the opponents of the Ottoman Empire. Has to face in front of them only the alliance with Britain, which took advantage of that period to strengthen its influence in the Arabian Gulf. If Britain was not able to put Kuwait under its protection in the first stage, maintaining the independence of the Presbyterian from the Ottoman Empire was in its interest.

key words: Britain-Kuwait-The Arabian Gulf-Ottoman Empire-India- Qawasm.

*Assistant teacher- Department of History- The competence of modern and contemporary history- Faculty of Arts and Humanities-Tishreen University-Syria- Lattakia.
**Post graduate student- The competence of modern and contemporary history- Department of History- Faculty of Arts and Humanities-Tishreen University-Syria- Lattakia.

مقدمة :

بعد أن أصبحت ممتلكات الشركة البريطانية في الهند مُربحة للغاية، اكتسبت المنطقة المحيطة(الخليج العربي) إلى جانب المسارات التجارية من وإلى الهند أهمية جديدة بالنسبة للشركة. وبهذا ازدادت مشاركتها في منطقة الخليج العربي مباشرةً، وعلى الرغم من سعيها في البداية لحماية سفنها وموظفيها في المنطقة، فإن ذلك قد تطور إلى سيطرة سياسية فرضها استخدام القوات العسكرية ولا سيما البحرية. وكان جزء كبير من هذه التحركات يقوم على الاستراتيجية التي تتبعها بريطانيا لمنع القوى الغربية المتنافسة من التدخل في الخليج العربي .

ومنذ منتصف القرن التاسع عشر وما تلاه، توطدت الهيمنة البريطانية على المنطقة من خلال التواجد العسكري البحري بقيادة "المسؤول البحري البريطاني في الخليج". ولم يتردد المسؤولون البريطانيون في المنطقة تجاه إصدار الأوامر في بعض الأحيان بتفجير حصون وقصور الحُكام العرب إن لم يُبدوا الحُكام التزامًا كافيًا بالمحافظة على المصالح البريطانية. وقد عمل هؤلاء المسؤولون في شبكة من الوكالات السياسية تواجدت في أوقات مختلفة في بلنجة والبحرين والكويت والشارقة ومسقط والدوحة ودبي وأبوظبي وجوادر .

الهدف من اختيار البحث والدراسة :

تتباين آراء المؤرخين ومواقفهم حول الدور الذي أدته بريطانيا في الخليج العربي على مسرح الأحداث، وتتحدث المصادر والمراجع العربية عن أن قوة تحالف القواسم ([1]) وتهديدهم لوجود بريطانيا في الخليج العربي والطريق إلى الهند من جهة ، وقيام الدولة العثمانية بمحاولة فرض سيطرتها على الكويت تارةً دبلوماسياً و عسكرياً تارةً أخربمن جهة هو السبب الرئيس لفرض المعاهدة العامة للسلام عام 1820م وما تلاها من معاهدات هدنة بحرية في الخليج العربيوتواجد بريطانيا عسكرياً ، وظهور تلك المشيخات المتناثرة والمتنافسة فيما بينها ومنها الكويت بسبب التدخل البريطاني في شؤونها الداخلية. في حين تتحدث المصادر الأجنبية، وخاصة الغربية منها ، أنّ ظهور تلك المشيخات كان نتيجة إحكام بريطانيا سيطرتها المباشرة على الخليج العربي لحماية طريقها إلى الهند " درة التاج البريطاني " من خلال إمارات مفككة صغيرة تتنافس في ما بينها ، وتركت لها حرية التصرف بشؤونها الداخلية.

مما دفع الباحث إلى اختيار هذا الموضوع هو أن غالبية الدراسات التي تناولت تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر والكويت خصوصاً تركز على الصراع ما بين شركة الهند الشرقية البريطانية والدولة العثمانية والقوى الاوروبية للسيطرة على الخليج ، وكيف فرضت بريطانيا سيطرتها على منطقة الخليج العربي، وتكاد تتجاهل الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية لتلك الإمارات والكويت خاصةً ، وإن تحدثت عنها ذكرتها ضمن سياق تاريخ الخليج العربي العام. ولا تدخل في صلب الموضوع بشكل رئيس. وبالتالي يمكن تقديم دراسة مفيدة في هذا المجال بالاعتماد على الوثائق البريطانية والعثمانية ،وبخاصة حياتهم السياسية والاقتصادية منذ نشأة الكويت ، وتوظيف هذه الدراسة لخدمة المرحلة الثانية ، مرحلة الصراع العثماني – البريطاني للسيطرة على الكويتالتي كانت تنتهج سياسة شبه مستقلة عن الطرفين ، تلك الدولة الصغيرة التي تركت بصمات مميزة على تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر. حيث

[1] القواسم عرب عدنانيون اختلف المؤرخون حول نسبهم وإن اتفقوا على أن جدهم كايد بن عدوان،الذي استوطن الشارقة ورأس الخيمة كما اختلفوا حول مكان هجرتهم ومن أين جاؤوا ، ولكن أغلب الروايات تقول أنهم هاجروا من شبه الجزيرة العربية إلى ساحل عمان في القرن السادس عشر الميلادي. أنظر : مؤيد حمزة، القواسم وعلاقاتهم الإقليمية والدولية 1506 –1820م ، رسالة مجاستير غير منشورة، اشراف محمد حبيب صالح ، جامعة دمشق، 2010م ، ص 57

استطاعت أن تؤدي دوراً مهماً في العلاقات الإقليمية والعربية والدولية.ووضع الأحداث في إطارها التاريخي والعلمي والمنهجي لتصبح مادة علمية متجانسة في متناول القرّاء والباحثين.

منهجية البحث :

انطلاقاً من ذلك ، فإن مهمة البحث في هذا الموضوع هي تتبع مراحل النفوذ البريطاني من خلال العودة للمصادر والمراجع التاريخية ذات الصلة وبخاصة المخطوطات والوثائق، واعتماد الأسلوب والمنهجية العلمية ، ووضع تاريخ تلك الدولة في إطاره الزماني والمكاني في الخليج العربي والمنطقة العربية .

أولاً : تأسيس شركة الهند الشرقية البريطانية

ارتبطت المصالح الأوروبية في العصر الحديث بالخليج العربي بصلة وثيقة بالبرتغال ثم بالحكومة البريطانية في الهند. ويعدّ القرن السابع عشر الميلادي القرن الذهبي في التاريخ البريطاني والأوربي، إذ تغيرت في هذه السنوات روح وشخصية الشعب الانجليزي والشعوب الأوروبية. وبدأت إنجلترا وأوروبا ترث السيادة في العالم، التي كانت يوماً من نصيب العرب والدولة العثمانية. وتحررت إنجلترا في ثورة الإصلاح الديني من سيطرة الكنيسة ، وكان هذا تعبيراً صادقاً عن عصر النهضة الأوربية في إنجلترا.

ومع أن الإمبراطورية العثمانية ودولة المغول بلغتا أقصى اتساعهما وقتذاك وكانتا تسيطران على مقاليد السياسة والاقتصاد في العالم، فإن هذه الإمبراطورية والدول الإسلامية أصابها الضعف ، مما سمح للتفوق الأوروبي الذي ترأسته شركة الهند الشرقية البريطانية ([2]) .

في الثلاثين من كانون الثاني عام 1600م، أصدرت ملكة بريطانية إليزابيث امتيازاً لتأسيس شركة تجارية أطلقَ عليها اسم (شركة مدراء وتجار لندن للمتاجرة في جزر الهند الشرقية) عرفت فيما بعد باسم شركة الهند الشرقية البريطانية. وتمكنت هذه الشركة للتجارة الشرقية في عام 1612 من أن تجد لها موطئ قدمٍ في مدينة سورات على شاطئ الهند الغربي قرب مدخل الخليج العربي([3]). وصدر فرمان من الشاه جهانكير المغولي، سلطان دلهي(1605–1627م) ، بهذه الاتفاقية. وسرعان ما تعاون أيضاً الشاه عباس الصفوي (1571–1629م) ، مع التجار الانجليز الذين قدموا له أسطولهم البحري، وقاموا بحملة مشتركة ناجحة ضد البرتغاليين في جزيرة هرمز([4]). وكانت معركة هرمز من المعارك الفاصلة في التاريخ، لأنها أنهت التفوق التجاري البرتغالي في الهند والشرق، وأرست أسس التفوق الانجليزي.

كان على البريطانيين أن يفرضوا أنفسهم على منافسيهم الهولنديين أيضاً الذين أسسوا عام 1602 ، شركة الهند الشرقية الهولندية، المنافسة لشركة الهند الشرقية البريطانية ، ودخلت الشركتان في تنافس حاد للسيطرة على مناطق التجارة الدولية ، من السواحل الإندونيسية والهند الشرقية إلى الخليج العربي، وفي وقت لاحق ، وبفضل التحالف الفارسي –

---

[2]. محمد مرسي عبد الله.*قراءة حديثة في تاريخ الإمارات*، ثلاثة أجزاء، دار الساقي للنشر، لندن، 2003،ج 1، ص. 185.

[3]. محمد أمين .*التنافس بين الشركات التجارية الانكليزية في منطقة الخليج العربي والأقطار المجاورة خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر* ، مجلة كلية الآداب ، جامعة بغداد، العدد السادس ، نيسان 1963، ص 209،210.

[4]هرمز: جزيرة مدينتها تسمى جردن واسواقها حافلة وهى مرسى الهند والسند ومنها تحمل سلع الهند الى العراق وفارس وخراسان ، وتقع في مضيق هرمز في الخليج العربي ، راجع : أبو عبد الله محمد بن بطوطة : تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، رحلة ابن بطوطة ، دار التراث ، بيروت 1968م ، ص264

البريطاني ، استطاعت شركة الهند الشرقية البريطانية تأمين موقع لها في ميناء جاسك الواقع على بعد من 150كم من ميناء هرمز ، وهكذا سجل البريطانيون تفوقهم الأول ([5]) .

ومع مرور الوقت، تمكنت شركة الهند الشرقية البريطانية من الحصول على ثلاثة مواقع محصنة، تحميها مدافع الأسطول ولا تخضع للحكام الهنود. وهذه المواقع في جزيرة بومباي التي انتقلت إليها في عام 1687 م إدارة الشركة وانتقلت مخازنها إليها من سورات، والموقع الثاني حصن سان جورج في كلكتا، والموقع الثالث في مدينة مدراس[(6)].

من هذه المواقع التجارية الحصينة الثلاثة تمكنت الشركة من الزحف إلى مراكز السلطة السياسية والإدارية في الهند، ونجحت في إسقاط سلطنة المغول في دلهي. والسؤال الذي يطرح نفسه هنا ، هو كيف استطاع بضعة مئات من التجار الإنجليز أن يسيطروا على شبه القارة الهندية. أجاب المؤرخ الهندي بانيكار عن هذا السؤال الصعب وبيَّن كيف كانت سلطنة المغول في بداية القرن الثامن عشر الميلادي في حالة انهيار وأصاب أجزاء الإمبراطورية الانفصال، واتجاه حكام المقاطعات لتحدي السلطة المركزية في دلهي، وحروبهم فيما بينهم، وكيف استعان هؤلاء الحكام بالحصون الانجليزية لتقديم الذخيرة والسلاح مقابل تنازلهم للإنجليز عن امتياز إدارة الأرض وملكيتها. كما يشرح لنا كيف قامت طبقة جديدة من التجار حول الحكام بالقصور، وتعاملت هذه الطبقة مع التجار الإنجليز. وحينما تنبَّه الحكام في الهند إلى هذا الخطر، ثاروا على هذا الوضع ولكن هزمهم جيش الشركة البريطانية الحديث بقوة مدافعه الجديدة، وامتد نفوذ الشركة أكثر فأكثر ([7]).

تصدى لمقاومة النفوذ البريطاني في داخل الهند الأمير (حيدر علي)(1720–1782م) وابنه (تيبو سلطان) (1750–1799م) على هضبة الدكن. وفي عام 1782 م، مات الأمير حيدر علي وتولى ابنه تيبو سلطان الحكم، وجرت بينه وبين الإنجليز أربع حروب تسمى الحروب الميسورية([8])، وكان تيبو سلطان عدوّاً خطيراً للحكم البريطاني في الهند لاتصاله المستمر بالفرنسيين واستخدامه لعدد كبير من الضباط الفرنسيين في جيشه. وفي عام 1799م جرت آخر معركة بين الأمير تيبو سلطان وقضي على إمارة ميسور في جنوب الهند. وكان لاستشهاد تيبو سلطان صدى أليم بين العرب والمسلمين. واليوم يعدّه المؤرخون في دولة الهند بطلاً قومياً من أبطال مقاومة الاستعمار البريطاني ([9]).

---

[5]. حسين عبيد غانم غباش.*عُمان الديمقراطية الإسلامية 1500–1971*، دار الجديد ط1 ،بيروت 1997،ص 98 . وجاسك او جاشك جزيرة تقع عل مسافة 3 كم الى الجنوب الشرقي من بندر عباس، دائرة المعارف الاسلامية جـ 1 ص 401.

[6]. وكلكتا مدينة هندية. وهي عاصمة ولاية البنغال الغربية .وتُعد ميناءً رئيساً للتجارة مع شرقي وجنوب شرقي آسيا. أما مدراس المدينة الهندية التي تسمي تشيناي عاصمة ولاية تايلنادو الهندية فقد تأسست عام 1661م.وهي ميناء مهم على المحيط الهندي. للمعلوماتراجع: k.m. Panikkar, *Asia and Western Dominance*, London, George Allen, 1953, p. 20.

[7]. محمد مرسي عبد الله .*إمارات الساحل وعمان والدولة السعودية الأولى*، المكتب المصري الحديث للطباعة والنشر، القاهرة، 1978، ص–ص. 216 . 217.

[8] الحروب الميسورية :تقع مملكة ميسور(Kingdom of Mysore) في جنوب الهند ، ويُعتقد أنها تأسست في عام 1399 بجوار المدينة الحديثة ميسور ، حكمتها أسرة وديار ، وكانت تتبع لإمبراطوريةفيجايانكرا ثم استقلت عنها وتوسعت أراضيها في القرن الثاني من الرقن الثامن عشر تحت حكم الأمير حيد علي وابنه طيبو سلطان ، مما أدى للاصطدام مع بريطانيا الأمر الذي توج بأربع حروب سميت بالميسورية وانتهت بوفاة طيبو سلطان عام 1799م حيث استولى البريطانيون على أجزاء واسعة من مملكته . أنظر : Ann Arbor,Warfare and State Finance in Wodeyar Mysore". In Subrahmanyam, Sanjay. Penumbral Visions, University of Michigan Press. pp. 161–170

[9].المرجع نفسه ، محمد مرسي عبد الله ، ص. 156.

وهكذا توطدت الأمور والظروف المناسبة في بداية القرن التاسع عشر الميلادي لبريطانيا في الهند فاتجهت بكل ما تملك من قوة لتحقيق هدفها الثاني، وهو مدُّ نفوذها العسكري والسياسي إلى منطقة الخليج العربي، لتأمين الطريق إلى الهند.

ثانياً: السيطرة البريطانية على الخليج العربي.

اختلفت الأسر الحاكمة في الخليج العربي وشبه الجزيرة العربية ما بين مؤيدٍ ومعارضللوجود البريطانيةكالكويت ، فقد شكل تحالف القواسم البحري القوي في ساحل عُمان شوكة في حلق بريطانيا في وقت كان القواسم يشكلون القوة البحرية والوهابيين القوة البرية ، ([10]) وفي عام 1805 توجهت أول حملة بريطانية عسكرية إلى الخليج العربي وشنت بمشاركة سلطان عمان (سعيد بن سلطان بن أحمد) هجموهاً على الميناء الفارسي بندر عباس وعلى سفن القواسم التي كانت راسية في ميناء قشم. وبين عام 1807 – 1808 تمركزت بعض قطع الأسطول البريطاني في الخليج العربي ([11])، وفي عام 1809 وصلت حملة عسكرية بحرية بريطانية كبيرة إلى الخليج العربي ودمرت أساطيل السفن المتواجدة على الساحل الفارسي وساحل عُمان وقامت باحتلال راس الخيمة، معقل تحالف القواسم ([12])

لكن الأمور لم تسير كما رغب الانكليز ، حيث أنه وعلى الرغم من تدمير قوة القواسم ، فقد استطاع القواسم من إعادة ترميم قوتهم بشكل أكبر ، في حين أن حلفائهم الوهابيين تراجع نفوذهم بشكل كبير بعد حملة ابراهيم باشا بن محمد علي وتدمير عاصمتهم الدرعية عام 1818م . حيث استطاع من ضم مقاطعات الاحساء ونجد إلى الإمبراطورية العثمانية. وانسحبت القوات المصرية من الجزيرة العربية في عام 1819 ووجه البريطانيون اهتمامهم من جديد للمنطقة بهدف تشديد قبضتهم على الخليج العربي .([13])

غادرت الهند في تشرين الثاني 1819 حملة عسكرية بريطانية كبيرة باتجاه الخليج العربي ضدّ تحالف القواسم بحجة محاربة القرصنة، وبحلول كانون الثاني 1820 كان البريطانيون قد أتموا بناء حصن وحامية في رأس الخيمة بعد تدميرها ونهبها كما دمروا الموانئ الأخرى على ساحل عُمان وجميع التحصينات العسكرية والسفن الحربية الكبيرة. وفي البحرين قامت قطع من الأسطول البريطاني بحمل عدة سفن على الاستسلام، كانت قد لجأت إلى هناك. ([14]).

قد أطلق المسؤولون البريطانيّون في حكومة بومباي لقب القرصنة على مهاجمة سفن تحالف القواسم للسفن البريطانية؛ كما سموا ساحل عُمان برسائلهم وخرائطهم ساحل القرصنة. ولا بد من الإشارة إلى أن القواسم كونوا تحالفاً معترفاً به سياسياً حيث عقدت بريطانيا معه معاهدات عدة ، فلا يمكن أن نسمي هؤلاء بالقراصنة. وقد دحض المؤرخون العرب المحدثون، هذه التسمية للقواسم، وعدوها من مخلفات الاحتلال البريطاني، ويعارضون هذا الوصف للصدام بين القواسم والبريطانيين.

---

[10] .A.T. Wilson, *The Persian Gulf: Historical Sketch from the Earliest Times to the Beginning of the Twenthieth Century* (London: Allen & Unwin, 1928), pp195-203.

[11] .J.G. Lorimer, *Gazeteer of the Persian Gulf, Oman and Central Arabia*, Vol. 1, pt. 1A (Shannon: Irish University Press, 1970). P. 182.

تابع رقم (8) أما قشم وتنطق أحياناً جشم ويعرفها العرب باسم جزيرة الطويلة ويفصلها عن الساحل الفارسي قناة يتراوح عرضها ما بين ميل إلى خمسة أميال وتعرف لدى البريطانيين باسم مضيق كلارنس،لوريمر.القسم الجغرافي ج1 . ص 1893

[12] .Wilson,*The Persian Gulf*, op – cit , p.p. 204-205.

[13] .Lorimer,*Gazeteer of the Persian Gulf*, op-cit Vol. 1, pt. 1A, p. 198.

[14]. عبد الله،*إمارات الساحل* ، ص، 261.

وانتهت تلك العملية بإبرام معاهدة سلام في عام 1820 مع جميع المشايخ والحكام ،وبينما حظرت أحكام المعاهدة أعمال " القرصنة " في الخليج وخولت بموجبها بريطانيا إنزال العقاب بمن يقوم بمثل هذه الأعمال ([15]) ، وأدخل نظام تسجيل السفن إلا أن الغرض الحقيقي من وراء تلك المعاهدة كان إخماد المشيخات الصغيرة في النصف الشرقي من الساحل العربي ووضعها تحت سيطرة الهيمنة البريطانية فقد كانت المعاهدة بمثابة بداية الهيمنة السياسية لبريطانيا العظمى على الخليج العربي .

بعد ذلك عقدت حكومة الهند سلسلة من الاتفاقيات مع حكام الخليج العربي وطدت بها نفوذها في المنطقة. ومن أهم هذه الاتفاقيات اتفاقية السلام البحري الدائم في عام 1853م. في هذه الاتفاقية منعت حكومة بومباي الإنجليزية اقتتال الإمارات في البحر بصورة دائمة لضمان أمن وسلامة تجارتها وسفنها في مياه الخليج. ومنذ ذلك التاريخ، تغير اسم الساحل في الخرائط والتقارير البريطانية من ساحل القرصنة إلى الساحل المهادن أو ساحل الإمارات المتصالح. وامتد النفوذ البريطاني شمالاً في الخليج ليشمل البحرين التي عقدت اتفاقية مماثلة سنة 1882م لاتفاقية السلام البحري الدائم في المشيخات ، ([16]) ثم إلى الكويت التي فرضت حمايتها عليها عام 1899م وعملت كل جهدها لا بعاد النفوذ العثماني عنها .

ثالثاً :نشأة الكويت واستقلالها عن الدولة العثمانية

يصعب تحديد العام، الذي تأسست فيه الكويت، على نحو حاسم ودقيق. ذلك لأن المصادر التاريخية، تختلف اختلافاً بيِّناً في هذا الشأن. فهناك مصادر ترجّح أن تكون الكويت قد أُسست خلال القرن السابع عشر وتختلف هذه المصادر في تحديد عام التأسيس، وشخصية الزعيم المؤسس. فالمؤرخ الكويتي، يوسف بن عيسى القناعي، يرجّح، في كتابه "صفحات من تاريخ الكويت"، أن تكون الكويت قد أُسست عام 1688. وأن المؤسس هو براك بن عريعر آل حميد، أمير بَني خالد.([17]) .

مهما يكن من أمر، فإن بدايات تأسيس إمارة الكويت، تعود إلى أواخر القرن السابع عشر، وأوائل القرن الثامن عشر، حيث استقر بها العتوب، وعملوا على تطويرها، عمرانياً واقتصادياً. إذ إن عملية إنشاء المدن والمجتمعات وتأسيسها، ليست بالمسألة البسيطة، التي تقتضي فترة زمنية قصيرة، وإنما عملية تطورية، ومعقدة، وغالباً ما تستغرق فترة زمنية طويلة.

ظهر اسم الكويت، منذ القرن السابع عشر الميلادي، في الخرائط الأوروبية، تحت اسم القرين (Grane) أي الأرض العالية، وقد اشتهرت بذلك الاسم، كما جاء في كتابات البحارة الرواد، من برتغاليين وهولنديين وإنجليز. وما زال اسم "القرن"، يطلق على بعض المَواقع في أطراف الكويت، حتى الآن.

كانت الكويت في بداية عهدها ميناء غير مهم ومسالماً نسبياً مما جعل بريطانيا تعتقد أنها تابعة للبصرة ([18]). وفي تعليقه على ذلك قال الخزعل " انه بالرغم من مرور 50 عام على نشأة الكويت فان العلاقات بين شركة الهند الشرقية البريطانية والأمير صباح الأول لم تتقدم بتاتاً ([19])

---

[15]. لأجل نصوص المعاهدة أنظر :

C. U. Aitchison, *Collection of Treaties, Engagements and Sands Relating to India and Neighboring Countries*, Vol. 12 (Calcutta: 1909), pp. 172-176.

16.*Collection of Treaties*,Ibid . p 249.

[17] يوسف القناعي. صفحات من تاريخ الكويت ، دار سعد ط1، القاهرة ، 1946م ، ص 4-5 .

[18] .Lorimer, *Gazeteer of the Persian Gulf,* op- cit, Vol. 1, pt. 1B, p. 1002.

[19].حسين خلف الشيخ خزعل. *تاريخ الكويت السياسي*، الجزء الأول، بيروت – مطبعة دار الكتب، 1962، ص 55.

اعترفت الكويت منذ البداية اسمياً بالسلطة العثمانية في العراق إلا أنها في الحقيقة مارست سياسة مستقلة، ففي عام 1789 مثلا نقل المقيم البريطاني لشركة الهند الشرقية في البصرة إلى شيخ الكويت تهديد باشا بغداد " ***بأنه قد يقوم بحملة على الكويت*** " ما لم ترفض الأخيرة منح اللجوء في الكويت للمنفيين السياسيين.([20]) ورفض الشيخ عبد الله بن جابر (1776– 1814م) ذلك بشدة ورد عليه " بان قرية القرين تخضع وما فيها للباشا "([21]). ولم يقم الباشا بعد ذلك بحملته ويبدو أن القضية أدت إلى توتر مؤقت فقط. وإن دل ذلك الحدث على شيء فإنما يدل على استقلالية الكويت.

ونلاحظ من السجلات البريطانية آنذاك أن الكويت كانت تعتبر تابعة للبصرة.([22]) لكن علاقات الكويت الوثيقة بالبصرة كانت تجارية اكثر منها سياسية. فقد كانت البصرة الشريك التجاري الرئيسي للكويت حتى وبعد احتلال بلاد فارس للبصرة ونهوض الكويت كقوة بحرية فيما بعد.

جرى أول اتصال بين الكويت وبريطانيا في عام 1775 حين قامت بلاد فارس بمحاصرة البصرة وبدأ البريد الإنجليزي القادم من الخليج العربي إلى حلب يرسل من الكويت واستمر ذلك طوال فترة احتلال الفرس للبصرة حتى عام 1779.([23]).

وفي تلك الفترة انتقلت تجارة القوافل المتجهة إلى حلب عن طريق البصرة وبغداد إلى الكويت ومن ضمنها تجارة شركة الهند الشرقية القادمة من بومباي. فضلا عن ذلك فقد فكر موظفو الشركة في إمكانية إقامة محطة تجارية في الكويت إلا أن خوفهم من قيام فارس باحتلال الكويت حملهم على التخلي عن تلك الفكرة. ([24]) أما أهمية الكويت للملاحة وميناؤها الصالح للرسو فقد ظلت عالقة في أذهانهم.

ومنذ ذلك الوقت أقام بعض أعضاء محطة البصرة التجارية علاقات طيبة مع حاكم الكويت وقدموا له في إطار سياسة الشركة في المنطقة الهدايا من حين لآخر " من أجل ضمان رسائل الشركة، والتجارة الإنجليزية والمسافرين الإنجليز على طريق البصرة وحلب وبغداد. فالهدايا في المناسبات يكون لها قيمة كبيرة في الإبقاء على هذا التفاهم الطيب ([25]) . ويرى الباحث أن هذه الصداقة كانت طبيعية فمن جهة كانت هذه الفائدة متبادلة. فلمدة من الزمن اعتمدت الشركة على الكويت كمحطة لنقل البضائع ، ومن جهة أخرى كان الشيخ يجني فوائد جمة من مرور التجارة عبر بلاده.

في عام 1793م نشب خلاف بين باشا بغداد وموظفي المحطة التجارية البريطانية في البصرة، نقلت المحطة على أثره إلى الكويت حتى آب 1795 وإبان تلك الفترة أصبحت الكويت تنافس البصرة كمركز مهم لنقل البضاعة البريطانية القادمة إلى الخليج العربي والمتجهة إلى أوروبا وعكس ذلك اعتراف الشركة باستقلالية الكويت وعدم تبعيتها للسلطنة العثمانية. وهذا ما أكده (لوريمر) Lorimer.([26])

---

[20]. الشيخ ثويني ومصطفى اغا كانا قد لجأا إلى الكويت بعد محاولة فاشلة لانتزاع البصرة من الباشا سليمان. انظر:

Stephen HemsleyLongrigg, *Four Centuries of Modern Iraq* (Oxford: Clarendon Press, 1925), pp. 204-206

[21]. يرد نص الرسائل بالكامل في كتاب أحمد أبو حاكمة، *تاريخ الكويت الحديث 1750-1965م*، الجزء الأول – القسم الثاني، مطبعة ذات السلاسل ، ط1 ، الكويت 1984م ، ص 19 – 20.

Lorimer.*Gazeteer of the Persian Gulf,* op-cit , Vol. 1, pt. 1B, p. 1002.22. .

[23]*Gazeteer of the Persian Gulf,*Ibid , p. 1002.

24. *Letter from Latouche to Court of Directors,* July 24, 1776, Factory Records, Persia and the Persian Gulf, Vol. 17, No. 1127.

[25].Latouche and Abraham, to Court of Directors, Factory Records, Persia and the Persian Gulf,Vol. 17, No. 1152.

26. Lorimer, *Gazeteer of the Persian Gulf,* Vol. 1, pt. 1B, p. 1004.

" إنّ اختيار مدينة الكويت كمقر للوكالة يدل دلالة قاطعة على أنها لم تكن بحال من الأحوال خاضعة لأية سيطرة عثمانية. ولحماية المحطة التجارية البريطانية في الكويت طاف طراد بريطاني صغير(سفينة حربية) في الكويت وتمركزت وحدة خفر تحت أمرة ضابط كويتي على البر ".

عندما تعرضت الكويت لهجمات الوهابيين لم يكن موقف المحطة التجارية البريطانية حيادياً رغم اعلان حيادها الرسمي .حيث يذكرلوريمر بأن المحطة التجارية البريطانية (ربما قد أنزلت مدفعين من الزورق الحربي البريطاني، وبأن حرس الوكالة قد ساهموا في رد إحدى الهجمات الخطيرة) وسواء كانت بريطانيا فعلا قد ساندت في صد الهجمة أم لا ([27]) ، فمما لا ريب فيه أن نفوذ الوهابيين على ساحل الخليج العربي قد تنامى في غضون السنوات اللاحقة وأصبح يهدد النشاط التجاري البريطاني. ويذكر في بعض المصادر العربية([28]). أن بريطانيا اقترحت في عام 1805 حماية المشيخة إلا أن الشيخ عبد الله بن صباح بن جابر رفض ذلك وأنها اقترحت في عام 1807 إبرام اتفاقية صداقة مع الكويت إلا أن مصير ذلك كان الرفض من جديد وبالرغم من عدم وجود أي ذكر لذلك في كتاب لوريمر فان صحة ذلك الخبر تنسجم مع مصالح بريطانيا آنذاك.

أما الكويت فكانت تنتعش اقتصادياً كلما انسحب البريطانيون من البصرة لكنها لم تسمح لنفسها بإثارة عداء الحكومة العثمانية في العراق أو الوهابيين بتحالفها مع بريطانيا. وبينما كانت التجارة التي حولها الإنجليز أحيانا إلى الكويت تدر ربحاً جيداً إلا أن تجارتها مع البصرة والجزيرة العربية كانت ضرورية ومهمة وطوال مدة الخلافات التي شهدتها المناطق المجاورة اتخذت الكويت موقفاً محايداً وحكيماً محاولة بذلك إبقاء قنوات الاتصال مفتوحة على جميع الجوانب.

بينما كنت مصلحة بريطانيا بالدرجة الأولى تثبيت نفوذها وسيطرتها في الكويت ذات الموقع الاستراتيجي في تلك المنطقة التي تقع على طريق الهند، ولذلك سعت وعملت جلّ جهدها لمنع تغلغل أية قوة أخرى، أو بسط نفوذها على ساحل الخليج والمناطق الغربية منه.([29])

وخلال القرن التاسع عشر وحتى تولى الشيخ مبارك الصباح الحكم في (1896 – 1915)، اتسمت سياسة الكويت الخارجية بالتحالف مع السلطات العثمانية في العراق والتسامح تجاه جميع الأحزاب. وأثناء تلك الفترة أصبحت الكويت ملاذاً آمناً للاجئين السياسيين من المناطق التي شهدت صراعات داخلية على السلطة العثمانية فرئيس قبيلة بني كعب لجأ إلى الكويت مرتين (الشيخ ثامر، 1839 – 1841)، وحاكما البحرين السابقان (عبد الله بن أحمد آل خليفة 1795– 1843)– ومحمد بن عبد الله آل خليفة عام 1869) وأطراف الصراع على السلطة بين الوهابيين (عبد الله بن ثنيان، 1841 وخالد الأمير الوهابي، في نفس السنة التي عاد فيها عبد الله بن ثنيان واستولى على زمام الحكم بعد خلعه).

أما بريطانيا فقد استغلت تلك الفترة في تقوية نفوذها على الخليج العربي وخوفاً من تغلغل روسيا في العراق من ناحية وأطماع محمد علي في الخليج العربي من ناحية أخرى وجهت بريطانيا أنظارها في 1839 إلى الكويت كمركز عسكري وبحري. لكن محاولاتهم لاستخدام الكويت لتلك الأغراض قوبلت بالرفض من قبل الشيخ جابر آل الصباح ([30]) وفي تقرير له عن الوضع في جنوب العراق والخليج اقترح القنصل البريطاني في دمشق عام 1841 وضع الكويت تحت

27Lorimer,*Gazeteer of the Persian Gulf*, Vol. 1, pt. 1B, p.1005.

[28]. الخزعل.تاريخ الكويت ، ص 70.

29.Lorimer,*Gazeteer of the Persian Gulf*,ibid , Vol. 1, pt. 1B, pp. 1009-1010.

30. Lorimer,*Gazeteer of the Persian Gulf*,ibid. 1, pt. 1B, pp., .p.p, 1009-1010.

الحماية البريطانية([31]). وفي عام 1863 – 1865 قام الكولونيل بيلي(Pelly)، المقيم البريطاني في الخليج، بزيارة الكويت وعقب لوريمر على تلك الزيارة ([32]) :

" لقد أدرك الكولونيل بيلي بوضوح إمكانية أن تصبح الكويت ميناء تجارياً ومركزاًلتجمع البضائع المنقولة بحراً والتجارة الأخرى وموقعها المناسب في ظروف معينة لإقامة محطة تلغراف بريطانية ومستودع ساحلي للذخيرة وتنبه بأن خور عبد الله قد يصبح فيما بعد خط الملاحة الرئيسي الموصل إلى العاصمة التجارية في العراق وقد يربط بسكة حديد بالبحر الأبيض المتوسط."

أما الكويت فبالرغم من مقاومتها الشديدة لمحاولة بريطانيا في إخضاعها لهيمنتها إلا أنها استطاعت أن تحافظ على علاقة صداقة معها. وخلال القرن التاسع عشر ازداد ارتباط الكويت تجارياً وسياسياً بالبصرة وعدّ شيوخ الكويت السلطات العثمانية في العراق حلفاءهم الطبيعيين وحتى حماتهم. وقد أخذ ذلك التحالف شكلين رئيسين الأول كان مساندة الكويت العسكرية للبصرة. ففي عام 1827 وضع الشيخ جابر الصباح أسطول الكويت البحري تحت تصرف " المستلم " (نائب والي البصرة) عندما شن بني كعب هجوماً على ميناء البصرة وفي عام 1836 ساندت الكويت القوات العثمانية في إخماد ثورة في الزبير ، وعام 1837 في هجومها على ميناء محمرة وفي 1845 ساعدت الكويت في الدفاع عن البصرة ([33]). أما الشكل الثاني الذي اتخذه التحالف الكويتي – العثماني فقد كان في استملاك عائلة الصباح لأراضي شاسعة في الإقليم العثماني. فأثناء تلك الفترة استملكت عائلة الصباح غيطان نخيل البلح في كل من الفاو والصوفية التي كان قد وهبها العثمانيون مقابل خدمات قدمتها عائلة الصباح([34]). وعند نهاية عهد الشيخ جابر في 1859 كانت غيطان البلح هذه مصدر الدخل الرئيس لعائلة الصباح ([35]) .

وان لم يكن في مقدور بريطانيا وضع الكويت تحت حمايتها إلا أن الحفاظ على استقلالية المشيخة من الإمبراطورية العثمانية كان في مصلحتها. لكن جهود بريطانيا الرامية إلى استدراك تطور علاقات سياسية وثيقة بين الكويت والإمبراطورية العثمانية باءت بالفشل. وجاء في تقرير لوريمر بأنه يبدو أن الشيخ عبد الله بن صباح الثاني (1865–

---

[31].Farren to Aberdeen, August 28, 1841, Foreign Office Caisse No. 15, File 1 (1841), List 24, pp. 113–114.

وأيضاً :الخزعل. الجزء الأول، ص 117، تقرير عن الاتفاقية الموقعة بين الإنجليز والكويت بشأن حف السلام في البحر وحظر تجارة العبيد وكان من المقر إعادة النظر في الاتفاقية عند نهاية العام.

32.Lorimer, *Gazeteer of the Persian Gulf,* op–cit ,Vol. 1, pt. 1B, p. 1012

[33]. مصطفى عبد القادر النجار. *الطريق السياسي لعلاقات العراق الدولية بالخليج العربي*.منشوراتمركزدراساتالخليجالعربي،البصرة ،1975، ص 46 – 47.

[34]. المرجع نفسه ، ص 47.

[35]. لقد قدر ريع الأرض في الفاو في عام 1899 بـ 6000 جنيه سنوياً.

Government of India to Lord G. Hamilton, February 12, 1899, Foreign Office Confidential Print: *Correspondence Respecting Affairs at Kuwait 1896–1905,* first printed for Foreign Office use only in 1900, and only recently made available to the public under the title, *The Affairs of Kuwait, 1896–1905*, 2 vols., ed. Robin Bidwell (London: Frank Cass and Co., 1971), Vol. 1, pt. 1, pp. 39–40.

1891م)([36]) كان على علاقات وثيقة مع الأتراك العثمانيين وأنه كان أداة مذعنة وحتى متحمسة في أيدي السياسيين الأتراك.

وأكد مدحت باشا اهتمام الدولة العثمانية بالكويت فاتصل بالشيخ عبد الله الصباح (الثاني) عام 1870م طالباً مساهمة الكويت في حملته المشهورة على الأحساء ([37])، وكانت حملة مدحت باشا جزءاً من خططه وتطلعاته الهادفة إلى تقوية النفوذ العثماني في الخليج العربي ، وضم الكويت إلى ولايته في العراق ([38]).

وقد اقترنت تلك السياسة التي اتبعها مدحت باشا في الثلث الأخير من القرن التاسع عشر بظروف مواتية لتنفيذها. فقد تم فتح قناة السويس عام 1869م وبواسطتها أصبح هناك خط ملاحي مباشر بين القسطنطينية والبصرة وأنشئت دار لبناء السفن في البصرة ([39]) .

وبالعودة إلى الوثائق العثمانية المتعلقة بالموضوع يتبين لنا أن للدولة العثمانية حاولت جاهدة استعمال اللين لكسب الشيخ مبارك الصباح (1896-1915م)، والإبقاء على ولائه للدولة العثمانية، وتحويله عن الميل إلى البريطانيين، والتباحث معهم لربط بلاده بهم. وفي ذلك ما نجده في المكتبات الرسمية العثمانية التي تشير بوضوح إلى تكرار محاولات الدولة العثمانية لاستمالة الشيخ مبارك، وصرفه عن البريطانيين، تقديراً منها لأهمية الكويت الاستراتيجية. وهذا ما نجده في مضبطة (محضر) المجلس المخصوص – المنعقد في 14 شعبان 1313هـ الموافق 1896م – المرفوعة من الصدر الأعظم إلى السلطان حيث تذكر المضبطة ما ترجمته "كما لا يخفى عن علمكم العالي أن المبادرة من قبل إنجلترا بخصوص الكويت، الواقعة على خليج البصرة، ازدادت حرارة، فإن إنجلترا تصرف جهدها لإثارة مبارك الصباح، ومن ثم اقتضى الأمر اتخاذ التدابير لإزالة مفعول تحركاتها وأغراضها، ذلك أن الحفاظ على الكويت ضد كل تجاوز أجنبي هو في غاية الأهمية، نظراً لما لموقع الكويت من أهمية بالغة".([40])

وقد عرض نجل نقيب الأشراف الموجود في الآستانة وساطة أبيه الذي ذكر أنه يضمن القيام بهذه الخدمات ([41])، وفي هذا ما يؤكد تقدير المسؤولين العثمانيين لخطورة المخططات البريطانية في الكويت، ووجوب اتخاذ التدابير اللازمة لمواجهتها حيث تشير المضبطة "إلى أن إيفاد النقيب المشار إليه إلى مبارك، مبني على الخوف من تحقيق التحريضات والمؤثرات الأجنبية ، وتبين ذات المضبطة للمجلس المخصوص: أنه لهذا الغرض تم ترشيح نقيب أشراف البصرة نجل شقيق أحمد باشا لإيفاده إلى الشيخ مبارك، من أجل إسداء النصح إليه، وإقناعه بالميل إلى جانب الدولة العثمانية، وعدم الالتفات إلى تأثير الإنجليز وتحريضهم.([42])

---

36. Lorimer, op –cit ,Vol. 1, pt. 1B, p. 1014. .

[37]. عباس العزاوي ،*موسوعة تاريخ العراق بين احتلالين*، بغداد 1955م ، ج7، ص 257.

[38]. كان العراق يشكل ولاية واحدة ولكن فصلت ولاية البصرة عن ولاية بغداد عام 1875م وأعيد توحيدهما عام 1880م ثم فصلنا مرة أخرى عام 1884م وكانت ولاية الموصل قد فصلت قبل ذلك.

[39] .Vladimir Lutsky: *Modern history of the Arab countries* ,the Arabian countries during 1840-1870,Moscow, 1969, P, 122-125.

[40]. المجلس المخصوص: هو مجلس تكون من كبار المسؤولين العثمانيين من نظار (وزراء) ووكلاء وقضاة وغيرهم ليكون مجلساً استشارياً للسلطان.

[41]. صورة مضبطة مجلس النظار الموقعة بتوقيعاتهم والمؤرخة في 14 شعبان 1313هـ والموافق شباط 1869م – ملحق رقم (1).

[42]. صورة مضبطة مجلس النظار ، المصدر نفسه .

وقد أظهر الشيخ مبارك استجابة لدعوة الدولة العثمانية ظاهرياً، فكتب كتاباً وأرسله مع نقيب أشراف البصرة، وقد أكد فيه أثناء لقائه مع نقيب أشراف البصرة ولاءه للدولة العثمانية وللسلطان، ولتأكيد هذا الولاء فقد تبرع الشيخ مبارك بمبلغ (ثلاثة آلاف وستمائة) ليرة تركية خصصها لبناء مسجد في الكويت، وأسماه باسم السلطان، واستأذن الدولة العثمانية في هذه التسمية فوردت إرادة الخليفة (السلطان) بالموافقة والرضى على هذه التسمية. ([43])

يبدو أن الشيخ مبارك أراد أن يهادن العثمانيين ولا يدخل في مواجهة معهم ، بينما كان يوطد علاقاته ببريطانيا حيث كان قد مكث لمدة شهر كامل برفقة المقيم البريطاني في بوشهر ف.أ. ويلسون، والذي غيّر من كل توجهات الشيخ مبارك وهو ما لم ينكره ويلسون بذاته . ([44])

وتدل جميع المراسلات الرسمية البريطانية اللاحقة بشأن الكويت، من رئيس الوزراء البريطاني، ووزير الخارجية، وحكومة الهند، والمقيم البريطاني في الخليج العربي والبصرة والجزيرة العربية([45])على وجود خلاف في الرأي بين وزارة الخارجية وحكومة الهند بشأن دور ونوايا بريطانيا تجاه الكويت. ([46])

ويتضح من ذلك أمران. أولا، لم تشأ وزارة الخارجية البريطانية خوض مواجهة مباشرة مع الحكومة العثمانية حول الكويت ولتجنب ذلك اعترفت اسمياً بمصالح العثمانيين في الكويت (مع نفي السيادة العثمانية هناك).([47])

وثانيا، لقد أبدت حكومة الهند استعدادها بصدّ أي هجوم عثماني على الشيخ مبارك. فقد قام بالفعل رجل حرب بريطاني بزيارة الكويت في تموز 1896 ولم يبلغ عن أي اضطرابات نتجت عن الوضع الجديد. وقد جاء في تقرير له ([48]) :

" إنّ الكويت إقليم عربي مستقل اسمياً ويمارس العثمانيون هناك نفوذاً كبيراً خاصة بعد تولي الحاكم الجديد زمام الحكم والذي يرى الرضوخ لرغباتهم أمراً لا مفر منه، ولقد قمت بزيارته غير أنه رفض زيارتي في السفينة ولاحظت أيضاً انه يرفع العلم العثماني ولمته على ذلك لكنني لم أحصل على جواب مقنع منه تبريراً لذلك."

رابعاً: السيادة البريطانية على الكويت

بدأت معالم المعارضة العثمانية لحكم مبارك خاصة من قبل السلطات في العراق تتضح. ففي مطلع عام 1897 هيأ العثمانيون لهجوم وشيك على مبارك لكن بريطانيا قامتفي تشرين الثاني من العام ذاته بإرسال طرادٍ إلى الكويت على أثر انتشار إشاعة مفادها أن طراداً تركيا في طريقه إلى هناك. ([49])

---

[43]. يوسف عيسى القناعي.*صفحات من تاريخ الكويت* ، ط1 ، القاهرة 1946م ، ص 49-51.

[44] .Memorandum by Mr. Stavrides, June 30, 1896, *The Affairs of Kuwait*, Vol. 1, pt. 1, pp. 1-2.

[45]. ترد هذه المراسلات التي تغطي الفترة ما بين تموز 1896 وكانون الثاني 1899 في :

***The Affairs of Kuwait,* Vol. 1, pt. 1, pp. 1-36.**

[46]. . لقد كان الخلاف بين وزارة الداخلية ووزارة الهند حول شؤون الخليج أحد المواضيع الرئيسة في دراسة

Busch's study, *Britain and the Persian Gulf, 1894-1914*.

ولقد ختم دراسته المكثفة لتلك الحقبة بالقول " أن تطور مركز بريطانيا في الخليج لم يتم بدون أي خلافات، بعضها كانت حادة، بين وزارة الداخلية وحكومة الهند. ففي هذا النزاع، اتخذت حكومة الهند في معظم الحالات موقفا متسرعا وشرعت أحيانا في تطبيق سياسة ما بدون الرجوع إلى وزارة الداخلية على الأقل لغاية عام 1905 " ص 387.

[47] .Government of India to Hamilton, February 24, 1897, *The Affairs of Kuwait,* Vol. 1, pt. 1, p. 3; and Marquees of Salisbury to Currie, July 17, 1897, op-cit., p. 12.

[48] .Baker to Drummond, August 4, 1896, Ibid., pp. 16-17.

[49] .Moubray to Meade, November 7, 1897, and Meade to Government of India, November 12, 1897, op-cit., p. 23.

وفي تلك الأثناء بذلت بريطانيا جهوداً مكثفة لإيجاد عذر مشروع لفرض حمايتها على الكويت. فكانت أعمال القرصنة والتدخل الروسي قد قدمت كحجج لجعل الحماية القائمة في الكويت أمراً شرعياً بدون إثارة اتهام الرأي العالمي لبريطانيا بأنها قد شاركت مبارك. وقد كانت تعد العدة لطرح قضية القرصنة عند قيام سلطة مبارك واستمرت بذلك خلال عام 1897. لكن في كتاب لوزارة الخارجية بتاريخ تشرين الثاني 1897 ذكر ماركيز ساليز بوري، رئيس الوزراء البريطاني آنذاك، أن مسألة القضاء على القرصنة لم تكن في حد ذاتها حجة مقنعة لفرض الحماية على الكويت ([50]) . وبعدها صرف النظر عن القضية لتثار مشكلة " مخططات " روسيا تجاه الكويت([51]) ولكن هذه الحجة أيضاً فشلت في تقديم تبرير كاف لفرض الحماية ولقيت نهايتها عندما كتب أدميرال بومنت، مدير الاستخبارات البحرية بتاريخ 18 شباط 1898 إلى وزارة الخارجية([52]) " **تعدّ الكويت مرفأ جيداً ويمكن استغلالها كميناء لتزويد السفن بالفحم لكن موقعها البعيد عن خطوط الملاحة الرئيسة يجعلني أتساءل عما إذا كان لروسيا أطماع هناك... ويبدو لي أنه ما لم يكن هناك احتمال في أن تقوم روسيا في يوم من الأيام بترسيخ أقدامها على شاطئ الخليج العربي فان الإشاعات القائلة بأن روسيا تود إقامة مرفأ للفحم في الكويت يعد أمراً ليس ذا أهمية من وجهة نظر عسكرية** " .

في 22 كانون الأول 1898 كتب السفير البريطاني في استنبول إلى رئيس الوزراء:([53]) .

" **أن أعمال القرصنة وتجارة العبيد تبرر تدخل حكومة الهند وتهيئ الجو لإبرام اتفاقية خاصة ومباشرة مع الشيخ تكون سرية. ومع الزمن يمكن لتلك الاتفاقية أن تتخذ شكلاً فعالاً لتخدم جميع الأهداف العملية وتعطى حكومة الهند امتيازاً مسبقاً في الكويت.**

وبالرغم من تأييدي الشديد للحفاظ على الهيمنة البريطانية في الخليج غير أني اعتقد أنه من المستحسن العمل على إقامة نظام حماية بريطاني في الكويت على أن يتم ذلك بحذر وكتمان بقدر المستطاع. وأي تصريح رسمي بهذا الخصوص ستعتبره الدولة العثمانية في الوقت الحاضر عملاً عدوانياً فضلاً عن إثارة مضاعفات دبلوماسية خطيرة ليس فقط فيما يخص هذه الحكومة بل روسيا أيضا على وجه الاحتمال" .

وبالفعل أبرمت في كانون الثاني 1899 اتفاقية سرية بين بريطانيا والشيخ مبارك([54]) والتي بموجبها يلتزم مبارك وورثته وخلفاؤه بعدم استقبال أي وكيل أو ممثل لقوة أو حكومة أخرى في الكويت أو أي مكان أخر ضمن أراضيها دون موافقة الحكومة البريطانية المسبقة ويتعهد فضلاً عن ذلك وورثته وخلفاؤهم بعدم التنازل عن بيع أو تأجير أو رهن أو إحداث احتلال أي جزء من أراضيها لأي حكومة أو مواطنين تابعين لأي حكومة أخرى. ([55])

50.Moubray to Meade,ibid, p 22 .

51. Lock to Government of India, December 22, 1897, Ibid., p. 24-26.

حيث تثار هذه القضية لأول مرة ويتابع مناقشتها في المراسلات خلال شهر آذار 1898 ص 26 – 28، وبقيت تشغل السياسة البريطانية في الخليج خلال أوائل القرن العشرين. في الواقع لم تشكل المنافسة الروسية في أي وقت خطراً يهدد السيادة البريطانية في الخليج العربي.

52. Lock to Government of India, December.Ibid , p- p , 27-28.

53..Lock to Government of India, Ibid , p .p 30-31.

[54]. انظر تقرير ميد Meade إلى حكومة الهند، 30 يناير، 1899، والذي رفعه عند إبرام المعاهدة

The Affairs of Kuwait, Vol, 1, pt. 1, pp. 47-50.

[55]. لمراجعة النص الكامل للمعاهدة انظر لوريمر بالإضافة للملحق الثاني :

Lorimer, op-cit, Vol. 1, pt. 1B, pp. 1048-1049.

وسط هذه الظروف وعدم الاعلان عن الاتفاقية بين الكويت وبريطانيا ، قامت الحكومة العثمانية في أيلول 1899م بتعيين مديراً للميناء في الكويت فعدت الحكومة البريطانية هذا العمل خطيراً جداً إلى درجة جعلتها تفكر (ولأول مرة منذ توقيع الاتفاقية) في إبلاغ الدولة العثمانية باتفاقها مع الشيخ مبارك ([56]) وقد جرت مراسلات طويلة بين الدبلوماسيين البريطانيين للتشاور حول ما إذا كان ينبغي الاعلان عن الاتفاقية واستقلال الكويت عن العثمانيين أو الاكتفاء بإعلام العثمانيين بأنهم لا يعترفون بأي موظف يعينه والي البصرة ([57]) . و بعد التشاور مع حكومة الهند أبلغ أوكنور برقياً بالآتي "**أنه يجب تحذير الحكومة العثمانية أن لبريطانيا علاقات ودية مع الشيخ مبارك وأنه إذا ما حاولت تركيا إقامة جمارك بدون موافقة مسبقة من حكومة صاحبة الجلالة فإن هذه المسألة ستدعو إلى عدم الرضا من قبل الحكومة البريطانية** "([58]).

هذا وقد رفض الشيخ مبارك السماح للموظف العثماني بالنزول في الكويت ، فعدت الدولة العثمانية ذلك بمثابة عملاً عدائياً وقررت ارسال قواتها للكويت ، مما استدعى من بريطانيا إرسال السفينة البريطانية (سفنكس) إلى الكويت بناء على اقتراح السير أوكنور القائم بأعمال الوزارة.

وقد أعلن قائد الأسطول البريطاني في الخليج (دوغلاس) أنه في حالة وقوع هجوم على الكويت فإن البحرية البريطانية تستطيع تحمل مسؤولية الدفاع وحماية الكويت.([59])

بناء على التوترات العسكرية صرحت الخارجية العثمانية للسير (أوكنور) أنها لا تنوي احتلال الكويت وليس لديها النية بإنشاء دار للجمارك فيها ، وبناء على هذا التصريح من ناظر الخارجية العثمانية فإن السير (أوكنور) يرى أنه ليس من مصلحة بريطانيا في الوقت الحاضر إثارة المسألة، ويجب أن يكتفي المسؤولون البريطانيون في المنطقة بمراقبة إجراءات العثمانيين بحذر، كي تتاح الفرصة أمام اتفاقية بريطانيا مع الشيخ مبارك لتصبح قابلة للتنفيذ.

من خلال الاتفاقية اصبح الشيخ مبارك أداة في يد السياسة البريطانية تجاه الإمبراطورية العثمانية والجزيرة العربية فقد وقف في وجه التغلغل الألماني في العراق حين رفض السماح لألمانيا بإقامة محطة سكة حديد تربط الكويت بمشروع خط برلين – بغداد الذي اقترح لأول مرة في عام 1899 بدعم من السلطات العثمانية.([60])

أما في شبه الجزيرة العربية وبعد سقوط الرياض (عاصمة الوهابيين) في أيدي ابن رشيد عام 1892 انهارت سلطة الوهابيين في الاحساء.([61]) وفي 1893 لجأ الأمير الوهابي عبد العزيز آل سعود، مع عائلته إلى الكويت والذي كان آنذاك صبياً وترعرع ونشأ في ظل حماية الشيخ مبارك الشخصية والذي يقول عنه ديكسونDickson أن له الفضل الأكبر في تدريب ابن سعود سياسياً والتأثير عليه لمناصرة سياسة بريطانيا والذي استلم فيما بعد زمام الحكم في المملكة العربية السعودية ".([62])

---

[56] .F. O. 78/5114 ***India office secretary to government of India*****, 7 September 1899.**

57.Ibid.

[58] .F. O. 78/5174 ***Memorandom on Kuwait confidential*****, foreign office (Secret) 29 Oct. 1901.**

[59] .F. O. 78/5114 Foreign office to Viceroy, No. 9 Secret, 13 Sept. 1899.

[60] .Busch, Op –Cit , pp. 187-195.

[61]. تاريخ نهوض وسقوط سلطة آل سعود في أواسط الجزيرة في القرن التاسع عشر، انظر:

R. Bayly Winder*, Saudi Arabia in the Nineteenth Century* (Toronto: Macmillan, 1965).

[62] .H.R.P, Dickson, *Kuwait and Her Neighbors*,Allen & Unwin; 1ST Edition, London, 1956 , p. 137.

وحيث قامت بريطانيا بتأمين حماية جبهة ضد أي هجوم تركي، قاد مبارك في عام 1900 حملة عسكرية إلى أواسط الجزيرة العربية ضد قوات ابن رشيد الذي كان متخالفا مع الإمبراطورية العثمانية وكان يغزو وينهب القبائل البدوية المناصرة للكويت مما أدى إلى تقلص نفوذها هناك.([63])

لقد أراد مبارك إعادة السلطة لآل سعود في أواسط الجزيرة العربية في ظل حمايته وأضعاف النفوذ العثماني هناك وتجديد نفوذ آل الصباح بين القبائل البدوية. وفي بدايتها أحرزت الحملة بعض النجاح غير أن قوات مبارك خسرت في مارس عام 1901 معركة رئيسة وأرغمت على التراجع من نجد. وبالتالي كان على بريطانيا حماية مبارك ليس من محاولات تركيا لاستيعاب الكويت فحسب بل من تهديدات ابن رشيد.([64])

لقد كان تلاشي النفوذ العثماني في أواسط الجزيرة العربية يتماشى مع مصالح بريطانيا الدولية بشرط الحفاظ على مظهر الإمبراطورية. فالإمبراطورية العثمانية كانت قد وصلت إلى مرحلة الانحطاط وسرعان ما تهافتت الدول الأوروبية لاقتطاع مناطق نفوذ لها من الإمبراطورية المنهارة. وبمعاهدة سان ستيفانو المبرمة في عام 1878 انتهت الحرب الروسية – التركيةوانفصلت بذلك مقاطعات البلقان عن الإمبراطورية الكامل إمام منافسة الدول الأوروبية خاصة روسيا، سارعت بريطانيا لحماية الأقاليم العثمانية في أسيا بغرض إقامة مناطق نفوذ لها هناك.([65])

الاستنتاجات والتوصيات:

1. كان تلاشي النفوذ العثماني في أواسط الجزيرة العربية يتماشى مع مصالح بريطانيا الدولية بشرط الحفاظ على مظهر الإمبراطورية. فالإمبراطورية العثمانية كانت قد وصلت إلى مرحلة الانحطاط وسرعان ما تهافتت الدول الأوروبية لاقتطاع مناطق نفوذ لها من الإمبراطورية المنهارة.

2. كانت اهتمامات بريطانيا في أواسط الجزيرة العربية في سياق المنافسة الإمبريالية في تلك الحقبة فروسيا كانت تتوغل في فارس وأفغانستان والإمبراطورية العثمانية وكانت تجارة ألمانيا، حليفة بريطانيا المنطقية في حالة الحرب، تزدهر مع بلدان الشرق الأوسط فضلاً عن النفوذ الكبير الذي اكتسبته لدى البلاط في اسطانبول خاصة بعد دعم السلطان لمشروع مد سكة حديد بين برلين وبغداد. وقد شكلت الجزيرة العربية منطقة فراغ في النفوذ بين مصر والهند والطرق البحرية التي تربطها. ولذلك كان ارتباط بريطانيا بالشيخ مبارك بمثابة الوسيلة المنطقية لتغلغل بريطانيا في الجزيرة وملء ذلك الفراغ.

3. تعدُّ اتفاقية بريطانيا مع الشيخ مبارك بداية ارتباط الكويت بنظام علاقات الإنتاج البريطانية. وبخلاف دول أخرى كثيرة، كان اندماج الكويت في هذا النظام قد انبثق عن اعتبارات سياسية بحتة أكثر منها اعتبارات تجارية. ونتيجة لذلك أصبحت الكويت جزءاً في تقسيم العمل المتنامي في العالم وكان لذلك أثر على التنمية في الكويت لغاية نهاية حقبة ما قبل النفط.

---

[63] **Lorimer**, ***Gazeteer of the Persian Gulf,*** **op–cit Vol. 1, pt. 1B, p. 1028**

[64] **Lorimer**, ***Gazeteer of the Persian Gulf,*** **ibid, p.p 1028-1032.**

[65] **-L. S. Stavrianos. The Balkans since 1453 (New York: Holt, Rinehart and Winston, 1965), pp. 408-411.**

4. كانت السيطرة على المنطقة في مقدمة أهداف بريطانيا إلا أن هدفها الأول والأخير كان تدعيم مركزها هناك بحيث يمكنها من مواجهة أي تقدم روسي نحو تلك المنطقة. فنجاح روسيا في تثبيت قدميها في بلاد ما بين النهرين قد يشكل تهديدا خطيرا لمصالح بريطانيا في الإمبراطورية الهندية أصلا وهذا المفهوم الذي يرجع إلى عام 1830 وطوره البريطانيون في العقود الأربعة التالية تم ترسيخه نهائيا في عام 1878 ثم من خلال اتفاقياتها مع حكام وشيوخ الخليج العربي .

المصادر والمراجع :

أولاً :الوثائق العربية :

1. مضبطة مجلس النظار العثماني الموقعة بتوقيعاتهم والمؤرخة في 14 شعبان 1313هـ والموافق شباط 1869م. والموجودة بالملحق رقم (1).

ثانياً :المراجع العربية :

1. أبو حاكمة ، أحمد. *تاريخ الكويت الحديث 1750-1965م*، الجزء الأول – القسم الثاني، مطبعة ذات السلاسل ، ط1 ، جزآن ، الكويت 1984م.عدد الصفحات 472.
2. الشيخ خزعل، حسين خلف. *تاريخ الكويت السياسي*، الجزء الأول، 189 صفحة بيروت – مطبعة دار الكتب، 3 أجزاء ، 1962.
3. العزاوي، عباس ،*موسوعة تاريخ العراق بين احتلالين*، بغداد 1955م ، ج7، يتكون من 376 صفحة .
4. القناعي ، يوسف عيسى ، *صفحات من تاريخ الكويت*، ط1 ، القاهرة 1946م.106 صفحات
5. النجار ، مصطفى عبد القادر. *الطريق السياسي لعلاقات العراق الدولية بالخليج العربي*، منشوراتمركزدراساتالخليجالعربي 1975، 356صفحة .
6. عبد الله، محمد مرسي ،*إمارات الساحل وعمان والدولة السعودية الأولى*، المكتب المصري الحديث للطباعة والنشر، 334 صفحة ، القاهرة، 1978.
7. غباش ، حسين عبيد غانم ، *عُمان الديمقراطية الإسلامية 1500-1971*، دار الجديد ط1 300 صفحة ،بيروت 1997.

ثالثاً: الدوريات :

1. أمين، محمد ،*التنافس بين الشركات التجارية الانكليزية في منطقة الخليج العربي والأقطار المجاورة خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر* ، مجلة كلية الآداب ، جامعة بغداد، العدد السادس ، نيسان 1963.

رابعاً: الوثائق الأجنبية المنشورة:

2. 1. Farren to Aberdeen, August 28, 1841, *Foreign Office Caisse* No. 15, File 1 (1841), List 24, pp. 113-114.
3. 2. F. O. 78/5114 India office *secretary to government of India*, 7 September 1899.
4. 3. F. O. 78/5174 *Memorandom on Kuwait confidential, foreign office* (Secret) 29 Oct. 1901.
5. 4. F. O. 78/5114 *Foreign office to Viceroy*, No. 9 Secret, 13 Sept. 1899.
6. 5.Latouche and Abraham, to Court of Directors, *Factory Records, Persia and the Persian Gulf***,** Vol. 17, No. 1152.

خامساً: المراجع الأجنبية :

1. A.T. Wilson, *The Persian Gulf: Historical Sketch from the Earliest Times to the Beginning of the Twenthieth Century* (London: Allen & Unwin, 1928. Pages 327.
2. C. U. Aitchison, *Collection of Treaties, Engagements and Sands Relating to India and Neighboring Countries*, Vol. 12 (Calcutta: 1909).pages 392.
3. H.R.P, Dickson, *Kuwait and Her Neighbors,*Allen & Unwin; 1ST Edition, London, 1956.pages 627.
4. J.G. Lorimer, *Gazeteer of the Persian Gulf, Oman and Central Arabia*, Vol. 1, pt. 1A (Shannon: Irish University Press, 1970).pages of 2 vol. 1624.
5. L. S. Stavrianos. **The Balkans since 1453** (New York: Holt, Rinehart and Winston, 1965), pp. 408-411.
6. k.m. Panikkar, *Asia and Western Dominance*, London, George Allen, 1953.pages 330.
7. R. Bayly Winder, *Saudi Arabia in the Nineteenth Century* (Toronto: Macmillan, 1965). Pages 312.
8. Robin Bidwell, ,*The Affairs of Kuwait, 1896-1905***,** 2 vols, (London: Frank Cass and Co., 1971).pages 397.
9. Stephen HemsleyLongrigg, *Four Centuries of Modern Iraq* (Oxford: Clarendon Press, 1925). Pages 392.
10. Vladimir BorisovichLutsky, *Modern history of the Arab countries* ,Moscow, 1969.pages 400.